بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

إبن تيمية وعاشوراء

فصل من كتاب الدمعة الساكبة
بقلم الخطيب الدكتور الشيخ محمد جمعة بادي

سُئِلَ ابن تيمية عمّا يظهره النّاس من إظهار السّرور في يوم عاشوراء ، من الكحل والإغتسال والحنّاء والمصافحة ، وهل ورد في ذلك عن النبي ﷺ حديث صحيح أم أنّ فعل ذلك بدعة؟

فأجاب كما في الفتاوى الكبرى: أنّه لم يرد في شيء من ذلك حديث صحيح عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ، ولا استحبّ ذلك أحدٌ من أئمة المسلمين ، لا الأئمّة الأربعة ولا غيرهم ، ولا روى أهل الكتب المعتمدة في ذلك شيئاً ، لا عن النبي ﷺ ولا الصّحابة ولا التّابعين ، لا صحيحاً ولا ضعيفاً ، لا في كتب الصحيح ولا في السنن ولا المسانيد ، ولا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة.

ولكن روى بعض المتأخّرين في ذلك أحاديث مثل ما رووا أنّ: (من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد من ذلك العام ، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام) ، وأمثال ذلك ، ورووا في حديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ: أنّه (من وسّع على أهله يوم عاشوراء وسّع الله عليه سائر السنة) ، ورواية هذا كلّه عن النبي ﷺ كذب.إنتهى

ولقد أنصف ابن تيمية القول إلى حدّ كبير في هذا المقام ، ولكن قد فاته أن يعدّ الصيام في يوم عاشوراء من ضمن المكذوبات الأكيدة على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومع ذلك فإنّه يشفع له قوله بكراهته كما قدّمنا ، وسيأتي في جوابه الآخر تصريحه بأنّهم إنّما جعلوا يوم عاشوراء يوم أفراحهم مقابلة للشيعة الذي جعلوه يوم أحزانهم ، إلاّ أنّه جانب الصواب والحقّ حينما سئل عن الحزن والبكاء في يوم عاشوراء!!

وسئل: عمّا تفعله الطّائفة الأخرى من المأتم والحزن والعطش ، وغير ذلك من النّدب والنّياحة ، وقراءة المصروع ، وشقّ الجيوب ، هل لذلك أصلٌ أم لا؟

فأجاب بعد ذكره قصّة مقتل الإمام الحسين عليه السلام بحسب رأيه وهواه: فصارت طائفة جاهلة ظالمة ، إمّا ملحدة منافقة ، وإمّا ضالة غاوية ، تظهر موالاته ، وموالاة أهل بيته ، تتخذ يوم عاشوراء يوم مأتم وحزن ونياحة ، وتظهر فيه شعار الجاهليّة من لطم الخدود ، وشقّ الجيوب ، والتعزّي بعزاء الجاهلية ، فكان ما زيّنه الشيطان لأهل الضلال والغي من إتّخاذ يوم عاشوراء مأتماً ، وما يصنعون فيه من النّدب والنياحة ، وإنشاد قصائد الحزن ، ورواية الأخبار التي فيها كذبٌ كثير..

والصدق فيها ليس فيه إلاّ تجديد الحزن ، والتعصّب ، وإثارة الشحناء والحرب ، وإلقاء الفتن بين أهل الإسلام ، والتوسّل بذلك إلى سبّ السّابقين الأوّلين ، وشرّ هؤلاء وضررهم على أهل الإسلام لا يحصيه الرجل الفصيح في الكلام.

فعارض هؤلاء قومٌ إمّا من النواصب المتعصبين على الحسين وأهل بيته ، وإمّا من الجهّال الذين قابلوا الفاسد بالفاسد ، والكذب بالكذب ، والشر بالشر ، والبدعة بالبدعة ، فوضعوا الآثار في شعائر الفرح والسرور يوم عاشوراء ، كالإكتحال والإختضاب ، وتوسيع النفقات على العيال ، وطبخ الأطعمة الخارجة عن العادة ، ونحو

ذلك ممّا يُفعل في الأعياد والمواسم ، فصار هؤلاء يتّخذون يوم عاشوراء موسماً كمواسم الأعياد والأفراح ، وأولئك يتخذونه مأتماً يقيمون فيه الأحزان والأتراح..

وكلا الطّائفتين مخطئة خارجة عن السنّة ، وإن كان أولئك أسوأ قصداً وأعظم جهلاً ، وأظهر ظلماً..

ولم يسن رسول الله صلى الله عليه وآله ولا خلفاؤه الراشدون في يوم عاشوراء شيئاً من هذه الأمور ، لا شعائر الحزن والترح ولا شعائر السرور والفرح.

ولنا ملاحظات على كلامه هذا :

الأولى

لقد دأب ابن تيمية على هذا الأسلوب وشبّ عليه في أغلب الرّدود على خصومه ، فسلاحه الهجوم والتنكيل دائماً ، فقد وصف المحزونين في يوم عاشوراء بأوصاف لا تليق إلاّ بأعدائهم النّاصبين ، ورماهم بالجهل والظلم والإلحاد والنفاق والضلال والغواية ، وزعم أنهم يظهرون موالاة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته ، وأنّهم يتعزّون بعزاء الجاهليّة..

فيا عجباً.. كيف تسلم الشيعة من سهام ابن تيمية ورشقها عليهم.. ولم يسلم منها سيّدهم وإمامهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، أم كيف يرضى عن الشيعة من هو ساخط على إمامهم أصلاً!!

وهو الأمر الذي أثار عليه جملة من علماء أهل السنة ، فهذا ابن حجر العسقلاني الحافظ بترجمته من كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة يقول: (وقال ابن تيمية في حق علي: أخطأ في سبعة عشر شيئاً ، ثم خالف فيها نص الكتاب).

ويتابع الحافظ ابن حجر تعليقه قائلاً: وافترق الناس فيه ـ أي في ابن تيمية ـ شيعاً ، فمنهم من نسبه إلى التجسيم ، لما ذكر في العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما من ذلك كقوله: إن اليد والقدم

والساق والوجه صفات حقيقية لله ، وأنه مستو على العرش بذاته.. إلى أن يقول: ومنهم من ينسبه إلى الزندقة ، لقوله أنّ النبي صلى الله عليه وآله لا يستغاث به ، وأن في ذلك تنقيصا ومنعا من تعظيم النبي صلى الله عليه وآله.

إلى أن يقول: ومنهم من ينسبه إلى النفاق ، لقوله في علي ما تقدم ، ولقوله: إنه ـ أي علي عليه السلام ـ كان مخذولاً حيثما توجّه ، وأنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها ، وإنما قاتل للرئاسة لا للديانة ، ولقوله: إنه كان يحب الرئاسة ، ولقوله: أسلم أبو بكر شيخا يدري ما يقول ، وعلي أسلم صبيّاً ، والصبي لا يصح إسلامه ، وبكلامه في قصة خطبة بنت أبي جهل ، وأن عليّاً مات وما نسيها ، فإنه شنع في ذلك ، فألزموه بالنفاق ، لقوله صلى الله عليه وآله: ولا يبغضك إلاّ منافق[1].

وإذا أردنا إستقصاء عبارات نيله من أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته الطّاهرين عليهم السلام فإنّها تتجاوز المجلّد الواحد ، تصريحاً وتعريضاً ، فهو يقتحم النيل منه عليه السلام بالدّاعي القريب أو البعيد ، ولو بتداعي المعاني ، وذلك لموجدة في نفسه.

ويقول ابن تيمية في منهاج السنّة النبوية: قبل أن يبعث الله محمداً صلى الله عليه وآله لم يكن أحد مؤمنا من قريش ، لا رجل ، ولا صبي ، ولا امرأة ، ولا الثلاثة ، ولا علي.. وإذا قيل عن الرجال: إنهم كانوا يعبدون الأصنام ، فالصبيان كذلك علي وغيره!!

وإن قيل: كفر الصبي ليس مثل كفر البالغ.

قيل: ولا إيمان الصبي مثل إيمان البالغ ، فأولئك يثبت لهم حكم الإيمان والكفر وهم بالغون ، وعلي يثبت له حكم الكفر والإيمان وهو دون البلوغ ، والصبي المولود بين أبوين كافرين يجري عليه حكم الكفر في الدنيا باتفاق المسلمين [1].

---

١) راجع عبارة الحافظ ابن حجر بترجمة ابن تيمية في الدرر الكامنة (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ١٥٤ ـ ١٥٥).

١) راجع منهاج السنة (٨/ ٢٨٥).

وأنت ترى وتبصر كيف يحاول النّيل من هذا الإمـام العظـيم عليه السلام الذي حبّه علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق والكفر ، ولـك بعد ذلـك أن تحكـم بحكمـك فـيمن لم ينصـف إمـام الأمـة وأمـير المؤمنين ، أ فهل ينصف شيعته؟

ويقول في نفس المصدر: إن الرافضة تعجز عـن إثبـات إيـمان علي وعدالته ، فإن احتجوا بما تواتر من إسلامه وهجرتـه وجهـاده ، فقد تواتر إسلام معاوية ويزيد وخلفـاء بنـي أميـة وبنـي العبـاس ، وصلاتهم وصيامهم وجهادهم [٢].

ويقول: لم يعرف أن عليا كان يبغضه الكفار والمنافقون[١].

ويقول:

كل ما جاء في مواقفه في الغزوات كل ذلك كذب!! ..

إلى أن قال مـخاطبا العلامة الحلي رحمه الله:

قد ذكر في هذه من الأكاذيب العظام التي لا تنفق إلاّ على من لم يعرف الإسلام ، وكأنه يخاطب بهذه الخرافـات مـن لا يعـرف مـا جرى في الغزوات [٢].

وتراه يضطرب ويتلجلج عند تناول أيّ فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام فيناقش في كلّ صغيرة وكبيرة وردت في حقّه وينفي من مناقبه المسلّمات ، ويدّعي عدم الموجودات ، ويقطـع بنفـي الواضـحات ، ويردّ على ما يتّفق عليه أهل القبلة في حقّه.

ويناقش في نـزول قولـه تعـالى: ﴿وَتَعِيَهَـا أُذُنٌ وَاعِيَـةٌ﴾ [٣] في خصوص مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ويقـول: إنـه حـديث موضـوع باتفاق أهل العلم [١].

---

٢) راجع منهاج السنة (٢/ ٦٢).

١) راجع منهاج السنة (٤٦١/٧).

٢) راجع منهاج السنة (٨/ ٩٧).

٣) سورة الحاقة: الآية ١٢.

١) راجع منهاج السنة (٥٢٢/٧).

ولست أدري!! ولا أحدٌ يدري!! من هم أهل العلم المتفقون على وضع هذا الحديث عند ابن تيمية!!

إذ أورده علماء الجمهور في كتبهم ، فراجع ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ تفسير الطبري ، ومسند البزار ، ومسند سعيد بن منصور ، وتفسير ابن أبي حاتم ، وتفسير ابن المنذر ، وتفسير ابن مردويه ، وتفسير الفخر الرازي ، وتفسير الزمخشري ، وتفسير الواحدي ، وتفسير السيوطي ، ورواه من المحدثين أبو نعيم ، والضياء المقدسي ، وابن عساكر ، والهيثمي.

وأعجب من هذا رده لحديث الطائر المشوي وقوله : إن حديث الطير لم يروه أحد من أصحاب الصحيح و لا صححه أئمة الحديث و لكن هو مما رواه بعض الناس كما رووا أمثاله في فضل غير علي .... وأن حديث الطائر من المكذوبات الموضوعات عند أهل العلم و المعرفة بحقائق النقل .[٢]

بينما قال الخوارزمي بعد أن ذكر الحديث بأسناده : أخرج الحافظ ابن مردويه هذا الحديث بمائة وعشرين إسناداً ، وقال أبو عبد الله الحافظ : صح حديث الطير وإن لم يخرجاه ؛ يعني البخاري ومسلماً .[١]

وأمّا حديث النبي صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعلي بابها ، المشهور بين المسلمين ، فإنّه يقول فيه: وحديث أنا مدينة العلم وعلي بابها أضعف وأوهى ، ولهذا إنما يعد في الموضوعات[٢].

وهو حديث متين من جهة السند والرّواة قطعاً ، ومن رواته يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ، والترمذي ، والبزار ، وابن جرير الطبري ، والطبراني ، وأبو الشيخ ، وابن بطة ، والحاكم ، وابن

---

٢) منهاج السنة ٣٧١/٧ .

١) مقتل الحسين ٨٠/١ .

٢) راجع منهاج السنة (٧/ ٥١٥).

مردويه ، وأبو نعيم ، وأبو مظفر السمعاني ، والبيهقي ، وابن الأثير ، والنووي ، والعلائي ، والمزي ، وابن حجر العسقلاني ، والسخاوي ، والسيوطي ، والسمهودي ، وابن حجر المكي ، والقاري ، والمناوي ، والزرقاني.. وصحّحه كثير من هؤلاء الأئمة.

ويتابع ابن تيمية في تشكيكاته في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام فيقول: إن له ـ أي لأمير المؤمنين عليه السلام ـ فتاوى كثيرة تخالف النّصوص من الكتاب والسنّة!![1].

ويقول: وقد جمع الشافعي ومحمد بن نصر المروزي كتاباً كبيراً فيما لم يأخذ به المسلمون من قول علي ، لكون قول غيره من الصحابة أتبع للكتاب والسنة[2].

والحقيقة أنّ هذا الكتاب ألّفه المروزي في المسائل التي خالف فيها أبو حنيفة علي بن أبي طالب في فتاواه ، وموضوع هذا الكتاب الفتاوى التي خالف فيها أبو حنيفة علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود ، وكم الفرق كبير بين هذه الحقيقة وما يدّعيه ابن تيمية!!

ويقول: وعثمان جمع القرآن كله بلا ريب وكان أحياناً يقرؤه في ركعة ، وعلي قد اختلف فيه هل حفظ القرآن كله أم لا!![1].

وخطّأ ابن تيمية أمير المؤمنين عليه السلام في أفعاله وحربه على البغاة ، دونما أيّ نكير من طوائف أهل الإسلام ، فهو يقول:

فإن قال الذاب عن علي: هؤلاء الذين قاتلهم علي كانوا بغاة ، فقد ثبت في الصحيح: إن النبي صلى الله عليه وآله قال لعمار بن ياسر رضي الله عنه : تقتلك الفئة الباغية ، وهم قتلوا عماراً ، فهاهنا للناس أقوال: منهم من قدح في حديث عمار ، ومنهم من تأوّله على أن الباغي الطالب ، وهو تأويل ضعيف ، وأما السلف والأئمة فيقول أكثرهم كأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم: لم يوجد شرط قتال الطائفة

---

١) راجع منهاج السنة (٥٠٢/٧).

٢) راجع منهاج السنة (٢٧١/٨).

١) راجع منهاج السنة (٢٢٩/٨).

الباغية[2].

بل هو ينفي أيّ دور لأمير المؤمنين عليه السلام في نشر العلوم والإسلام مطلقاً، ويقول: جميع مدائن الإسلام بلغهم العلم عن الرسول من غير علي(1).

فهل يمكن من يكون هذا حاله أن ينصف شيعته المؤمنين الأخيار ويلتمس لهم الدليل أو العذر في حزنهم وبكائهم على الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء !! أم هل يرضى المسلمون بقوله في أمير المؤمنين عليه السلام ليقبلوا منه ما كان دون ذلك!!

الثانية

لقد وصف المآتم الحسينية وصفاً مقرعاً، ونسبها إلى تزيين الشيطان، والغواية، وعاب على الشيعة إتّخاذهم المأتم والنوح فيه، وإنشاد قصائد الحزن فيه، ولم يصدق إلاّ في واحدة بين مفترياته، فإنّه قال: (والصدق فيها ليس فيه إلاّ تجديد الحزن).

وسيتكفّل الفصل القادم بحول الله تعالى وقوّته ما يُرسي دعائم هذا الشّعار النبوي المقدّس بإثبات كون البكاء والحزن في يوم عاشوراء على الإمام الشهيد الحسين عليه السلام سنّة نبوية مؤكّدة، إزدحمت النقولات في تشييد ذلك، ولم تغب تلك النصوص والبراهين والحجج عن أهل الضلال والغواية ومن زيّن لهم الشيطان، إلاّ أن التعصّب المقيت قد أعماهم وأصمّهم عن الذّكر..

فترى أكثر خطباء المساجد يتفنّنون في عرض الحديث النبوي الشّريف من كلّ أبوابه إلاّ تلك النّصوص الصريحة الصحيحة الواردة في بكاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على ولده الإمام الحسين عليه السلام !! فقد أعجبهم هذا الكيل بمكيالين في إنتقاء الحديث الشريف، وهم يكتفون في خطبهم يوم عاشوراء بنقل نصوص الصّوم ويُعرضون عن نصوص الحزن والبكاء!!

---

٢) راجع منهاج السنة (٤/ ٣٩٠).

١) راجع منهاج السنة (٧/ ٥١٦).

ولك أن تتأمّل في حال ابن تيمية لو قال بعض ما قاله في مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في حقّ غيره من خلفاء المسلمين ، لكان قد خرج عند المسلمين عن جادة الإسلام قطعاً!! فمن يجرُأ أن يرمي سائر الصّحابة أو المبشّرين بالجنّة بمثل ذلك!! إلاّ أنّ الأمر بالنسبة لإمام المظلومين سهلٌ هيّن ، والنيل منه عادة قديمة وسنّة جارية!! شبّ عليها الصغير وشاب عليها الكبير!!.. ويعرف المنصفون جميعاً أنّ هذا أمرٌ واقعٌ وأنّ منكريه قلّة لا تُذكر ، وهذا هو نكران النعمة الإلهية ، وهو الإجحاف بسيد المرسلين صلى الله عليه وآله في أهله المظلومين.

وما ذنب الشيعة إذا أحيوا الحزن وبكوا يوم عاشوراء تأسّياً وإقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله الصّحيحة المؤكّدة!! وما ذنبهم إذا أغاضوا مرضى القلوب وأثاروا شحناء النفوس باستنقاص قتلة الطّيبين الطّاهرين عليهم السلام وسافكي دمائهم!!

وما الذي يغيض البعض من صبّ جام الغضب واللعن على قتلة الإمام الحسين عليه السلام!! أم هل يرضى مسلمٌ بفعل بني أميّة وقتلهم له عليه السلام!! وهل يثير الأضغان من يبكي على ظُلامة صارخة!! فما ذنبنا إذا ساقتنا الحقائق إلى تأريخ أسودٍ حالكٍ مليءٍ بالآهات والمآسي!!

الثالثة

لقد أقرّ ابن تيمية أن هؤلاء الذين أظهروا المسرات في يوم عاشوراء هم من النّواصب ، وأنّهم فعلوا كلّ ذلك تعصّباً ومقابلة لما يظهره الشيعة من أحزان وبكاء في يوم العاشر ، وأنّهم قابلوا الفاسد بالفاسد ، والبدعة بالبدعة ، فاتّخذوا اليوم عيداً ، ووضعوا الأحاديث زوراً في ذلك ، علماً بأنّه لم يسن لا الفرح ولا السرور عن النبي صلى الله عليه وآله في هذا اليوم!!

ولم يعالج ابن تيمية تلك الأحاديث الكثيرة المستفيضة الواردة في كتب الحديث لأهل السنة ، ولم يشر إليها من قريب أو بعيد ، وهو باب إذا فتحه لم يُغلق إلاّ بفضيحة آل أبي سفيان ، وهي

أحاديث صحاح وحسان متواترة لفظاً ومعنى تثبت كون البكاء والحزن على الإمام الحسين عليه السلام سنّة نبوية لا خلاف فيها!!

وإذا كان ابن تيمية يزعم أنّ النواصب قد وضعوا أحاديث فضل يوم عاشوراء مقابلة للشيعة.. فلماذا لم يحتمل هو وغيره أنّ النّواصب قد وضعوا فيما قد وضعوا أحاديث فضل صيامه!!

مع أنّها على درجة من التّهافت والتّضارب تقوّي من احتمال الوضع فيها ، فإذا كان داعي الوضع موجوداً عند المتأخّرين فداعي الوضع في زمن التّدوين أقوى وأشد ، لقربهم من الأحداث وعهود الأئمة الطّاهرين عليهم السلام والتصاقهم بالشيعة ، وهذا يبرّر التهافت الكبير فيها.